الديوان

كتاب فى النقد والأدب

يتم فى عشرة أجـــزاء

لمنشـــئيه

عباس محمود العقاد
المحرر بجريدة الأهرام

ابراهيم عبد القادر المازنى
المحرر بجريدة الأخبار

لم يؤلف العقاد والمازنى إلا الجزءين الأول والثانى اللذين طبعا أكثر من مرة سنة ١٩٢١

الجـــزء الثالث

بقلم

العوضى الوكيل

الديوان

كتاب فى النقد والأدب

يتم فى عشرة أجـــزاء

لمنشـــئيه

عباس محمود العقاد
المحرر بجريدة الاهرام

ابراهيم عبد القادر المازنى
المحرر بجريدة الأخبار

لم يؤلف العقاد والمازنى الا الجزءين
الأول والثانى اللذين طبعا أكثر من
مرة سنة ١٩٢١

الجـــزء الثالث

بقـلم

العوضى الوكيل

« إيه ياخفافيش الأدب أغثيتم نفوســـنا ، أغثى الله نفوسكم الضئيلة ، لاهوادة بعد اليوم ، الســـوط فى اليد ، وجلودكم لمثل هـذا السوط خلقت وسنفرغ لكم أيها الثقلان » .

عباس محمود العقاد

تنبيه ضرورى وهام

تلزم التفرقة بين « شخص » الأستاذ محمود حسن اسماعيل وبين « شخصيته » الأدبية والفنية ، فإن شخصه ينال منا الاحترام والتقدير والمودة ، لزمالة وصداقة قديمة ، أما شخصيته الأدبية والفنية فهى هدف هذا النقد — وإذا كان فى هذا النقد شىء لايروق شخص الأستاذ محمود حسن اسماعيل فإن مبعثه حسن النية أولا ، ومبعثه ثانيا النقد الأدبى البرىء ، ومبعثه ثالثا خدمة النهضة الأدبية والفكرية ، فنعتذر إلى شخص الأستاذ محمود حسن اسماعيل سلفا عما قد يرى فيه مساساً بشخصية محمود حسن اسماعيل .

العوضى الوكيل

الطبعة الأولى

نوفمبر ١٩٦٨

هذه هى مقدمة كتاب الديوان كما نشرت
فى الجزء الأول بطبعتيه سنة ١٩٢١

مقدمة

بسم الله نبتدىء (وبعد) فان كان للسكوت عن الخوض فى أحاديث الأدب داع فقد زال هذا الداعى اليوم ، وقد تجددت دواع للكتابة فى أصوله وفنونه ، أخصها الأمل فى تقدمه لالتفات الأذهان الى شتى الموضوعات ومتنوع المباحث والحذر عليه من الانتكاس ،لاجتراء الادعياء والفضوليين عليه ،وتسلل الأقلام المغموزة والمآرب المتهمة إلى حظيرته ، وكتابنا هذا مقصود به مجاراة ذلك الأمل وتوقى تلك العلل ،وهو كتاب يتم فى عشرة أجزاء ،موضوعه الأدب عامة ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد فى الشعر والنقد والكتابة .

وقد سمع الناس كثيراً عن هذا المذهب فى بضع السنوات الأخيرة ، ورأوا بعض آثاره وتهيأت الأذهان الفتية المهذبة لفهمه والتسليم بالعيوب التى تؤخذ على شعراء الجيل الماضى وكتابه ومن سبقهم من المقلدين .

فنحن بهذا الكتاب فى أجزائه العشرة، وبما يليه من الكتب نتمم عملا بدوناه ، ونرجو أن نكون فيه موفقين الى الافادة ، مسددين الى الغاية ، وأوجز ما نصف به عملنا — ان أفلحنا فيه — أنه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالها والاختلاط بينهما .

وأقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب انسانى مصرى عربى : انسانى لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة . ومصرى لأنه دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربى لأن لغته العربية .

فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت فى لغة العرب منذ وجدت اذ لم يكن أدبنا الموروث فى أعم مظاهره إلا عربيا بحتا يدير بصره الى عصر الجاهلية .

وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصناما عبدت قبلها ، وربما كان نقد ما ليس صحيحا أوجب وأيسر من وضع قسطاس الصحيح ، وتعريفه فى جميع حالاته ، فلهذا اخترنا أن نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادىء الحديثة ، ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض وسنردفها بنماذج للأدب الراجح من كل لغة ، وقواعد تكون كالمسبار وكالميزان لاقدارها فان أصبنا الهدف والا فلا أسف . وحسبنا بهذه المقدمة الوجيزة بيانا .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

فى سنة ١٩٢١ لاحظ العقاد والمازنى أن ريح الأدب راكدة، وأن المقاييس الأدبية والفنية بحاجة الى التصحيح والتقويم، ليتبين للناس الرشد من الغى فى مناهج الأدب والفكر، فتعاهدا على تأليف كتاب فى النقد والأدب سمياه «الديوان» وقالا أنه سيكون فى عشرة أجزاء، تصدر تباعا، ثم أصدرا الجزء الأول من هذا الكتاب والحقاه بجزئه الثانى بعد قليل، وأعيد طبع الجزئين بعد ذلك.

ثم سكت العقاد والمازنى ولم يقدما بقية الأجزاء العشرة التى وعدا بها قراءهما ومضى على هذا السكوت سبع وأربعون سنة عادت فيها ريح الأدب الى الركود، واختلت المقاييس الأدبية والفنية اختلالا بينا، استعلى به الزيف على الصحيح، بحيث أصبح الأمر يتطلب عقادا ومازنيا آخرين ينهضان بما نهض به العقاد والمازنى سنة ١٩٢١، لذلك قامت الحاجة الى وصل ما انقطع من سلسلة كتاب الديوان لتتم الأجزاء العشرة التى وعد بها القراء.

ولا نزعم أننا سنسد مكان العقاد والمازنى فى هذه السبيل، فهم الرائدان الأستاذان ولكننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أننا سنسير على هداهما بلا تقليد.

وقد لانستطيع أن نتم هذه الأجزاء العشرة، ولكننا واثقون ثقة كاملة بأن هناك من سينهض بهذا العبء بعدنا إن لم ننهض نحن به.

وبالله توفيقنا، وعليه توكلنا، وهو نعم المولى ونعم النصير.

مارس ١٩٦٨ — العوضى الوكيل

محمود حسن اسماعيل

شاعر الكوخ ، وشاعر الملك ، وشاعر الوزير ، وشاعر المدير ، وشاعر النار والأصفاد ، الذى يذبح المغرب ، ويسير الشفق فى جنازة الاحــلام ، ويستدبر القبلة فى صلاة حزينة أو ضاحكة ، وهو الذى سمع نصيحة الأقدمين ووعاها على طريقته ، فلبس لكل ممدوح لبوسه ، وتزيا لكل موقف بزيه ، وأوشك أن يتقن دوره لولا خيانة أوقعته وكشفت عن سوآته ، فقد خانه الشعور الصادق فيما يقول ، فانكشف الغطاء ووقع البلاء .

محمود حسن اسماعيل ينفق عن سعة ، ولكنها كسعة مزيف الأوراق المالية التى لاغطاء لها ، ولا أمل فيها ، أن حافظة نقوده الفنية ملأى بالأوراق المالية ولكنها الأوراق التى تنقص قيمتها بما كتب عليها ، فهى ثروة موبقة .

أن ألفاظه كثيرة متنوعة ، ولكنها خرساء صماء ، تقف فى أبياته موقف الأحجار فى المنحت الكبير ، لا شعور ولا حس ، ولا تفكير ، ومن ثم يجىء التعبير فهاهة تعي القارىء والسامع معا ، بل تعي القائل نفسه .

سمع صديقنا الأديب الناقد محمد شوقى أمين قائلا يتلو من شعر محمود اسماعيل فى مدح فاروق :

شاديك من قصب الفرادس نايه ... ومن الشذى والطيب عل غناؤه
ومن الصبا نهلت ظلال أراكة ... بحواه ناجها غفت انداؤه

فغلط الراوى وقال ندت أغفاؤه بدلا من غفت انداؤه ثم حاول أن يعيدها صحيحة فقال له شوقى : لا عليك ، فان المعنى واحد فى الروايتين .

ونحن لا نقدم شعر محمود حسن اسماعيل فى هذا النقد لأنه « مادة » يمكن أن تقوم فهو وشعره أهون علينا وعلى الأدب من أن نبذل فيه جهداً ، ولكننا نريد تبصرة الناشئة والشداة بنماذج زورت عليهم أذواقهم بما أكثرت حولها من الضجيج وما قرنت باسمها من عجيج الادعاء ، وصفاقة الصفقاء ، فنأى بهم ذلك كل النأى عن مراتب الشعراء وأشباه الشعراء .

وصاحبنا محمود بدأ حياته مدرسا فى أحد الكتاتيب بالقرية وهى بداية طيبة كان يمكن أن تنبت ما أنبتت بداية الحجاج وغير الحجاج من معلمى الكتاتيب الذين أرتقت بهم هذه الصناعة الكريمة إلى درجة الوزارة والولاية . . ولكنه فيما يبدو لدارسى شعره وقراء نظمه وفيما سمعنا من أبناء قريته الذين عاينوا طفولته ويفاعته قد أصيب بمرض عضال التاث بعده فاضطرب تفكيره ، واختل ميزان حياته ، فلم تعد الدنيا تصل إلى مشاعره صحيحة ، ولم تعد أدوات الوزن والتقدير فى نفسه تؤدى عملها على النحو الذى يجب أن يؤدى عليه ، فاختلطت فى مشاعره الأفكار والاحاسيس ، واضطرب فى وجدانه الوزن والتقدير فمضى يقول فى فاروق (ديوان الملك ص ٥٦ طبعة ١٩٤٦) :

(لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا)

وهى كلمة لانزنها هنا بميزان الدين الذى يوبقه ويرديه ، ولكننا نضعها هنا

لتؤكد بها ما ران على مشاعره من أسداف أرته فاروق ، مثل الرحمن الرحيم والعياذ بالله ، فهو اختلاط والتياث قبل أن يكون كفراً .

ومثلها قوله فى فاروق وسيأخذه الله بما قال : أعنى على الإلهام واسمع تعبدى .

وسنعرض للقراء فى الصفحات التاليات ديوانا من شعره ، يمثل الشعر والعصر والشاعر جميعاً ، نعم يمثل شعر الشاعر بما يمثل الشاعر نفسه ، ويمثل العصر ، بما يمثل الشاعر وشعره ، فهذا الديوان إذن هو الشاعر وشعره وعصره ، موجزة أو مسهبة ، فى أدق التفاصيل دقة ، وأوسع الحكايات أتساعا .

ونختار الديوان لمزية فيه ، تعين الباحث على وضوح الرؤية أمامه فى البحث وهى مزية للنقد ، لا يستهان بها ، ولذلك نرى الشاعر يحاول جاهداً أن يجر على ديوانه هذا ستوراً كثيفة من النسيان ، وأن يستبعد نسبته اليه .

هذا الديوان هو « فاروق الملك » الذى أصدره الشاعر سنة ١٩٤٦ ، زلفى إلى الملك فاروق فى أوج طيغانه وفساده ، وفى النهاية القصوى من عبثه بالبلاد واستهانته بمقدساتها ، وتتضح المفارقة فى منطق الشاعر الذى يحاول أن يصوغ من النفاق والمداجاة شعراً عندما نقرأ مدح الملك مسنداً إلى حبه للشعب وعطفه على البائسين الحيارى من أبنائه ، بل تفانيه فى حب هذا الشعب وخدمته ، والسهر على مصالحه . وشتان موقفان : موقف الاحرار من أبناء الوطن الحبيب يعدون العدة للاطاحة بحكم فاسد شنيع ، ويضعون أرواحهم موضع الفداء تخليصا للشعب من حكم يذل

الشعب كل الشعب الا بطانة التسبيح والتحميد بالفاسدين الملوثين الباغين ، وموقف شاعر يلتمس الزلفى لدى هذا الطغيان والفساد ، ويحاول جاهداً أن يكون من بطانته وحواشيه ويتخذ من شعره مسبحة ألفية - بل أكبر من ألفية - يخترع بها للفاسد المحامد ، ويزين للشعب المقابح والفضائح ، ويحاول جاهداً بالحاحه - الذى هو جزء من جبلته - أن يغشى على أبصار الناس وعلى قلوبهم .

والشاعر يصدر بعد ديوانه هذا دواوين وكتباً ، فيثبت على غلاف ما صدر منها قبل الثورة اسم « ديوان الملك » بين مؤلفاته ، ولكنه يدرك حرج موقفه بعد الثورة فيسقط اسم هذا الديوان من قائمة مؤلفاته كلما ذكرها على غلاف الكتب وهذه هي المزية التى من أجلها اخترنا هذا الكتاب ، فهو سوأة للشاعر يحاول جاهداً أن يخصف عليها من ورق النسيان والتسلل ، ولكنه فى الوقت عينه صورة صادقة صحيحة ، ولو لم يكن كذلك لما عنى الشاعر بستره وكتمه كل هذه العناية ، ولما اهتم بأنكاره كل هذا الاهتمام .

صدر هذا الديوان العجيب وكتب صاحبه على غلافه مسترفدا « ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ وهو عيد الميلاد الفاروقى السعيد » . . وتابعتها على الغلاف هذه العبارة « حقوق الطبع محفوظة لصاحب الديوان » .

وبعد ذلك بعام واحد سنة ١٩٤٧ فى ديسمبر ، صدر للشاعر ديوان أسمه « أين المفر » فأثبت على غلافه أن ديوان الملك مطبوع سنة ١٩٤٥ ، وهى مغالطة لها أهمية عندنا ، وعند مؤرخى الأدب والسياسة معا ، فهو يريد أن يقول أن

الديوان قد صدر ولم تكن الفضائح الفاروقية قد طفت وتحدث بها الناس فى الشوارع وعلى المقاهى ، ومن يدرى لعله لو ذكر اسم الديوان مرة أخرى على غلاف كتاب جديد لقدم الزمن به سنة أخرى أو سنوات .

هذا الديوان يمثل عندنا طرازا من الأدباء والشعراء ينكرون التقليد ولكنهم ينكرونه تقليدا ولا ينكرونه من ذوات نفوسهم ، ومن استيحاء وجدانهم فهم « المقلدون فى أنكار التقليد » وهم المادحون الذين ينكرون شعر المدح ، منهما سموه بأسامى التمويه والمخادعة والختال ، ويتم الركوع والسجود فى محراب الملك المأفون ، بصفحة أخيرة من الديوان يقول فيها صاحبه مستكثرا من العطاء على قدر استكثاره من الضراعة والرجاء : « اقتطف الشاعر من الرسائل الملكية الكريمة التى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بتوجيهها فى بعض المناسبات ، فقرات خالدة توج بها بعض القصائد ، وناهيك بشعر تكون كلمات فاروق تيجانا له لأن أحداً لم يصف فاروقا ببلاغة أو حكمة أو بيان فيما عدا هذا الشاعر الذى جعله رحمانا رحيما ، والذى جعله معبوداً وسأله أن يعينه على الألهام وان يسمع تعبده .

أهون الأشياء عندنا وعند الشاعر نفسه أن نسميه منافقا ، مداهنا ، مداجيا ، وأن نقول أن شعره فى المدح يخرج من بابة النفاق ، سواء كان الممدوح فاروق احمد فؤاد أو محمد محمود أو مصطفى النحـــاس أو سعيد لطفى أو غير هؤلاء ممن مدحهم الشاعر بقصائده ومقطوعاته ، ذلك أهون ولاشك من أن نصمه بتهمة

الخيانة الأدبية التى جملته يحاول أن يخدع الشعب عن نفسه ، فيزور له الأمور تزويراً لا يفيد منه الا الشاعر نفسه بما أحرز من الزلفى .

والنفاق فى أصله مأخوذ فى اللغة من نافقاء اليربوع ، جاء فى الجزء الثالث من المحيط لمجد الدين الفيروز بادى « والنافقاء والنفقة كهمزة احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق ، ونافق فى الدين ستر كفره وأظهر ايمانه » وجاء فى المعجم الوسيط « والمنافق من يضمر العداوة ويظهر الصداقة ، ومن يظهر خلاف ما يبطن » ولا ريب أن النفاق بكل هذه المعانى أمر يسوغ لنا أن نلحقه بشخصية محمود حسن اسماعيل ، لأنه معنى تابث بها وتمكن منها ، فساغ لديه أن يكون كبضاعة الســوق حين تبذل نفسها لكل طالب أو كعروس الحلوى يعطيها وليها لكل خاطب ، أو كبواب الفندق يفتح صدره وقلبه لكل طارق .

وما عليه أن يكون كذلك ، وقد أتى على نفسه فيما مدح به فاروقا فى هذا الديوان ، من أولى صفحاته حتى صفحة الختام ، فهو فى الاهداء الى مولاه صاحب الجلالة قد سكب دمه غناء حتى لم يعد فيه دم ، وهو قد أوقف أهل مصر جميعا « على أعتاب ، ملك فاروق سواسية » ، وهو قد سمى الشعب بالفادى للملك وناب عن هذا الفادى الذى لا وجود له الا فى خيال الشاعر المنافق ، فى رفع التحية إلى فاروق وبذلك دمغ نفسه بالنفاق دمغا لافكاك من عقباه فى الفن والحياة على السواء ، وهو قد أضاع نفسه فى تهاريل نفاقه وضراعته وذلته ، فلم

يعد له من وجود فنى يصيح فى أبياته ، إلا ما يكاد يشبه الجنين الخديج : لا تتبين له رأسا من رجل ولا أذنا من عين ولا بطنا من ظهر ولا رأسا من عجيزة .

والنفاق دائماً معنى جديب لا يوحى ، ولا ينبت معه فى نفس المنافق شعر ولا فن ، لأن الفن تعبير عن شعور صادق صحيح ، والشعر نقل عن وجدان واقع ، وهو أمر لا وجود له مع وجود النفاق ، ونحن لا نصف الشاعر بالنفاق إلا وفى ديوانه دليله ، دع عنك الطبع الأنيق على حساب فاروق وقد طبعت منه نسخة بالذهب الخالص وآل أمرها إلى أحد باعة الكتب القديمة ولا ندرى أين هى الآن ؟ ودع عنك الدعاية الواسعة له على حساب البطانة والحاشية ، فهذه أدلة مادية واقعة ، والدليل الفنى فى رأينا أعظم منها قيمة وأشد أثراً فى اقناع من يريد أن يقتنع من القراء .

الديوان يشتمل على خمس وثلاثين قصيدة تسود حوالى مائتين من الصفحات ، والقصائد كلها ذات اطار واحد ، وطريقة واحدة فى المدح والتمجيد والتهليل والتكبير ولنأخذ القصيدة الأولى منه ونبحث عما فيها من المعانى :

— فاروق نور من الله	— قلب الشاعر متيم بالملك
— لولا نوره وعزته لكنا أمواتا	— مهجة الشاعر تذوب هوى
(وتأمل نوره وعزته هذه)	وغراما بفاروق
— الملك تحدوه القداسات	— الملك يسعد الشعب ويخفف
— الله أوحى بهواه الى الناس	المآسى عن كاهله
— حبه شريعة ودين والشعب يفديه .	

— الفاروق هالات من ضياء الله .

— الملك ناسك متعبد خاشع لله .

ثم لنأخذ كيفما اتفق وعفوا بلا اختيار قصيدة «من ذلك الفارس» ص١٢٤ من الديوان ، وقد وجدناها صدفة تتفق مع الأولى فى الوزن والقافية فماذا قال الشاعر فيها من المعانى ؟ قال :

— الفاروق قدر سار ساقته عناية الله إلى الشعب .

— الشعب يحب فاروق وتندفع الارواح والمهجات إلى ركابه .

— فاروق يشبه النبي موسى عليه السلام .

— كل تراب يمشى عليه تمشى فيه القداسات .

— ملكه يمثل النبوة — الفاروق يواسى الشعب ويضمد جراحه .

— قباب قصر عابدين كعبة الناس .

ثم — لكى يتضح مانريد ولا يظن بنا التحامل — نسوق قصيدة ثالثة تجىء بين القصيدتين السابقتين فى الديوان : تلك هى قصيدة (فى وادى الشعر) ، فماذا قال فيها : —

— أن بيان الشاعر لا يهزه سوى نور فاروق

— نسى الناس فقرهم وضنكهم لما رأوا فاروقا .

— حينما طار فاروق بطائرته أصبح مسبحها كعبة للطيور .

— يطلب الشاعر من فاروق أن يظل تحت تاجه شعبه الفادى .

والقصائد كما رأيت من نسيج واحد ، فصله الشاعر على صور من القول مختلفة ولو ربط القصيدة الأولى بالثانية لما زاد شيئاً على أى منهما .

تعال معى الى أحدى عربات « المترو » فى ليلة شاتية وتثير من الركاب يجاس فيهـــا هنا وهناك ، ومتسول يمد يده الى كل منهم ويقف أمامه دقيقة أو دقيقتين يسأله ويلحف ، يقول عند الأول : لله . . يامحسنين .. حنـــوا على الغلابة .. اللى عند الله باق .. ثم يقول عند الثانى : أعطنى ممـا أعطاك الله .. اللى عند الله لا يضيع .. أنا مسكين .. جوعان وهكذا ... فهل ترى ثمة فارقا معنويا بين أقوال هذا المتسول أمام كل قاعد من ركاب المترو ..؟ ذلك هو شعر محمود حسن اسماعيل فى ديوان « فاروق الملك » وإذا صح ذلك .. « وهو صحيح لاريب فيه .. كان الديوان نفاقا واضحا ، ورياء فاضحا . .

أى دليل أدل على النفاق من هذه المعانى المتشابهة بين القصائد تأخذ بحجز كل منها ، وتضرب عليها كلها بفسطاط يسد عليها منافذ الطريق الى الفن الأصيل.

أن هذا التشابه مبعثه شىء واحد ، هو أن هذه القصائد لا تحمل من المعانى إلا ما يحمله الحاح المتسول على ركاب المترو فى الليلة الشاتية ، كلمات فى كلمات ليس وراءها طائل من الشعور أو رصيد من الوجدان .

يجرنا هذا الى بحث آخر ، ربما كان جديداً فى مناهج الدراسة ، ذلك أن شعر محمود حسن اسماعيل بمـا يطويه من خواء فى رصيد الوجدان يقتضيه — لـكى يخفى هذا الخواء الوجدانى — أن ينثر عليه تهاويل ألفاظ براقة ، وعبارات كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

تعال مثلا الى قوله من قصيدة عنوانها « فاروق » : —

إنى أغنى ومابى حاجــة لفم ... يروى وقلب بما يرويه يعتـــبر
هذا جنـــاحى فليطرح حبائله ... صياد أرض النجوم الخاتل الحذر
طيرت فى الافق أسرابى لخيرهـا ... ان الفضـاء سجين خانه النظـــر
لحومت ورمى الأفلاك هازجها ... بنغمـة لك فى توقيعهـــا أثر
ألست من شمسها فى مثل واهــلة ... من الضيـــاء عليها حوم البشر
النيل حولك يجـــرى ما بشاطئه ... إلا هوى لك طى الموج مستتر
ضفافه الخضر والأحلام تسكنها ... لنور تاجك فيهـــا معبد عطر
وقالت الريح قولا منذ ما نزلت ... كل الرسالات لم تهتف به سور
تمـــائم وأساطـــير وقافلـــة ... من التهاويل لم تلمح بها صور

فانت ترى أن الشاعر اختار ألفاظا ، وسلكها فى سلك من نظمه ، واسترهبها ما لايستطيع سلكها أن يهبه من المعانى ، فبيته مثلا :

طيرت فى الأفق أسرابى لخيرهـــا ... أن الفضـاء سجين خانه النظر

لم نستطع له تفسيرا ، الا أن للشاعر أسرابا من الطير حائرة فى فضاء سجين يخونه النظر لأنه أعمى ، صور لا يمكن أن تلتق أطرافها ولا أن تتجانس أوائلها وأواخرها ، وتأمل الهوى الذى هو فى الشاطىء وفى طى الموج فى وقت واحد ألا ترى أن هذا تخليط محموم وهذيان مختلط . ومن أمثالها فى شعره قوله من قصيدة ، « وكانت له ظمأى » فى فاروق حين زار الاسكندرية عقب غارة عليها :

أغنى على الالهام وأسمـــع تعبدى ... تر الدهر مسحورا بما ألهمت يدى

فانه يصور لك الشعر عملا يدويا تلهمه اليد ، وهى صورة فيها من مسخ الشعر وبخس قيمته ما فيها .

وقوله فى فاروق :

وهكذا أنت للاوطان شاطئها   إذا ظلام الليالى السود غشانا

الله أكبر يافاروق ماعجب   أن يرتجيك ضلال الدهر شطآنا

ودع المبالغات السخيفة القذرة وأطرحها جانبا ، وهات الصور المعروضة فى هذه المنظومة تجد صوراً لا يمكن الامساك بها فهى كالماء يخرج من بين فروج أصابعك كلما حاولت أن تقبض عليه ، وصدق الله العظيم فى القرآن آية تصف دعاء الكافرين آلهتهم وهم لايستجيبون فتقول :

« له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » .

شعر المناسبات : —

ونتقدم قليلا فى الديوان لنجد أن لكثير من قصائده مناسبة ، فمناسبة الأولى عيد الميلاد ، ومناسبة الثانية عيد الجلوس ـ أى جلوس الملك على عرشه ومناسبة الخامسة زيارة الملك لأسوان ، فى يوم عيد ميلاده ، ومناسبة الثامنة يوم المستشفيات ومناسبة التاسعة مشروع الحفاء ، ومناسبة العاشرة زيارة

الصحراء الغربية ومنح فاروق هبات للراغبين فى الزواج من البدو ومناسبة الثالثة عشرة زيارة الاسكندرية بعد إحدى الغارات ، ومناسبة الرابعة عشرة افتتاح الخط التليفونى بين مصر والسودان ومناسبة الخامسة عشرة افتتاح المعهد الدينى بأسيوط ، ومناسبة السادسة عشرة لقاء فاروق بعاهل السعودية ، والثامنة عشرة لمناسبة حادث القصاصين ومناسبة العشرين نجاة فاروق من حادث القصاصين ، ومناسبة الحادية والعشرين عودة فاروق بعد الاصطياف من الاسكندرية إلى القــاهرة ، ومناسبة الثانية والعشرين أنه طاف حول قصر عابدين طواف القدوم من الصعيد والرابعة والعشرين الزفاف السعيد ومناسبة القصيدة الأخيرة فى الديوان افتتاح نادى فاروق الأول الرياضى ولو أننا أردنا أن نحصى كل المناسبات التى يمكن أن تقع فى حياة ملك لما استطعنا أن نزيد على ذلك شيئا ، ومعنى ذلك ، أن الشاعر قال شعره فى مناسبات كثيرة تلتق وتلتف حول مناسبة واحدة بغير تثنية أو جمع هى مناسبة وجود فاروق على عرش مصر وامكان استرفاده واستمناحه والزلفى إليه واقتناص ما يمكن اقتناصه من الصلات وعلى الأقل صيت الصلة بفاروق وحاشيته والمقربين إليه .

وتسمع محمود حسن اسماعيل فى المجالس فلا تسمع إلا إنكاراً لشعر المناسبات وزراية به وبقائليه ، فهو ممن يصدق فيهم قول الشاعر : —

يحــرم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مســاء
إذا فعــل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أســاء

وقد حارب العقاد والمازنى وأصحابهما شعر المناسبات ، وشددا النكير عليه وعلى قائليه ، فأى شعر مناسبات كانا يحاربان ؟

أنهما حاربا شعر المناسبات التى لا تتصل بالوجدان ولا تنبع من العاطفة ، ولا تستلهم حسا صادقا ، وإلا فلكل قول مناسبة ، حتى الغزل وحتى الفخر وحتى الهجاء ، وما مناسبات الغزل إلا الوصل والصد والقرب والبعد ، والتجنى والدلال ، وبذل الوعود وخلف المواعيد ، وسائر ما يتصل بالعاشقين من قريب أو من بعيد ولكل قول فى الدنيا مناسبة تدعو إليه وتستدعيه ، وإلا كان لغوا وهباء

ونحن لا ننكر شعر المناسبات لأنه شعر مناسبات ، ولكننا ننكر فيه ما يفوته الوجدان الصحيح ، والشعور الصادق ، وننكر منه ما هو تقليد لا ابتكار فيه ، وننكر فيه ما هو كقول بواب الفندق الذى لا ينبع من عاطفه ولا شعور .

ونحن من هذه الناحية لا ننكر شعر المناسبات فحسب ، ولكننا لا نعد من جملة الشعر الغزل الذى لا يصدر عن صدق ، والوصف الذى لا يبعثه تأثر ولقد روى العقاد فى أحد كتبه أن قوما قرأوا قصيدة فى وصف الابل والصحراء فأنكروا أن تكون من المذهب الجديد وعدوها ، بابا من الشعر ، لا يجوز أن يطرقه العصريون ثم علق العقاد على ذلك بقوله :

« ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد فى انكار التقاليد ، لأن وصف الصحراء والابل انما يحسب تقليدا لا ابتكار فيه اذا نظمه الناظم مجاراة للاقدمين واقتباسا على الدواوين .

أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء . أو على مقربة منها . ويركب الابل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا

المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . اذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد الا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر الى دليل .

فهناك اذن « مقلدون » فى كراهية التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون وربما كان هؤلاء أضر بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم . »

ومن هذه البابة — بابة التقليد — يدخل شعر المناسبات عند محمود حسن اسماعيل لأنه — فى أحسن حالاته — مقلد الأقدمين الذين مدحوا وبالغوا ، وحسبوا أن المبالغة كلما اشتدت عند ذلك من محاسن أشعارهم وغرر أقوالهم ، ولا جدال فى أنك حين تتعقب المناسبات الملكية التى كتب فيها منظوماته — ولا نقول قصائده — تدرك أنه كان يستوحى دفتر التشريفات الفاروقية ويعرف منه تنقلات فاروق ورحلاته ، فيتابع كل نقلة منها بقصيدة أو مقطوعة تكون شاهدا على أنه ديدبان شعر يقظ ، فتحسن فى حقه حينئذ الشهادة لدى من يثيب مواكب المسبحين بحمد صاحب الجلالة .

وتعال الى قصيدته « وكاب عيسى » ص ٤٧ من ديوان « فاروق الملك » التى نظمها عقب زيارة فاروق للصعيد أيام وباء الملاريا واقرأ معى : —

فاروق لو أن للايام أجنحة   رأيتها بالهوى تأتيك أسرابا
فاروق حبك سحر لم تدع يده   فى الشاطئين حشا ألا وقد ذابا

فاروق نورك خمـــر صاغ بارئها ... سرائر الناس للعشاق أكوابا
قال الصعيد وقد كرمت ساحته ... نزلت بالركب أرواحا وألبابا
تسرى فتنشدك الدنيـــا أغانيها ... زهراً وطيراً وأمواها وأعشابا
قالوا روى الموت بلواهم فقلت لهم ... ركاب عيسى يرد الموت كذابا

وهكذا تجرى أبيات القصيدة مدحاً يعلو به التخيل فيجعل الأيام أسرابا تأتى اليه لوأن لها أجنحة ، وهو معنى لا يفيد شيئا ولا يدل على طائل فضلاعن أنه قديم منتهب ، ثم يجعل حب الشعب لفاروق سحراً يذيب حشاه ، ثم يجعل نوره خمراً تشربها سرائر شعبه العاشق وأخيراً يجعل ركابه كركاب عيسى يحي الموتى وعيسى هو الذى يحي الموتى لاركابه ، وهى معان كما رأيت لا توجه فاروقا ولا تلفت نظره ، ولو أن الشاعر كان صادقا لا لهمته فطرته هنا أن يقول لفاروق أن هذا الحب (إذا صح) من الشعب ذخيرة يجب أن تحافظ عليها ، ولكنه لايمكن أن يقول هى النفاق والملق والزلفى ، ولا يمكن أن ينطق وعيناه تنظران الى ناحية أخرى ذلك لأنه لاينطق عن صدق ووجدان وإنما يقول ذلك لأن حب الشعب لفاروق شىء من أباطيل الشاعر الكذاب ليس له ظل من الحقيقة .

وإذن فالمسألة اقتناص مناسبات وافتعال مواقف لا أكثر من ذلك ولا أقل ويبق الديوان بعد ذلك غناء فى غثاء ، أو صفحات من ديوان التشريفات الفاروقية كان يذيعها ديوان كبير الامناء فيأخذ الشـــاعر مادتها ويصوغ منها أشعاره ومقطوعاته .

المبالغات : —

وصاحبنا محمود حسن اسماعيل كسائر صانعى الامداح المتملقة من الشعراء يحاولون جاهدين أن يغطوا على تملقهم ، وأن يخفوا نفاقهم ، ولقد بينا فيما سلف من القول ، أن محموداً سلك إلى ذلك مسلكا فهول من خياله تهاويل ، ووضع فوق الصورة عشرات من الصور ، ليتلهى الناس بالصور عن هذا النفاق ، ولكنه لم يستطع لأن مادة النفاق كانت من القوة والسيطرة على الشاعر وشعره بحيث عجزت هذه الصور عن تغطيتها وستر مخازيها ، ولأن فاروقا كان فى هذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر بغيضا إلى الشعب كله ، يلعنه الطلبة فى مظاهراتهم ويحطمون تماثيله المقامة فى ساحات كلياتهم ، وينادون بالويل والثبور له وللفسدة والقوادين من حاشيته وبطانته .

ولقد أدرك شاعرنا المنافق هذا ، فاتجه — مع هذه الوجهة — وجهة جديدة لعلها تنفع ، ذلك أنه مضى يبالغ ويبالغ ، ويأتى بمعانى الكفر والزندقة والضلال ، ولم يدع نبياً يعرفه إلا وقد شبه به فاروقا أو شبهه بفاروق أو جعله فى خدمة فاروق على أية صورة ، فهذا سليمان بن داوود النبى العظيم ، يشتغل حاديا للأغانى التى تقال فى مدح فاروق : —

قوافل من أغان أنت ملهمها وأنت فيها الهوى والشجو والذكر
حداً خطاها سليمان وطاربها بساطه وهدى أرسانها القدر

وهذا والده الوقور « داوود » :

كل الطبيعة فى الشطين زامرة وأنت داوودها لم تروك السير

وهذا النبي كليم الله موسى :

آفاق مصرك سيناء وأنت لها   موسى يشعشع منك الحالك العكر

وهذا المسيح عيسى بن مريم يقول عنه أوفيه :

كأنما أنت من عيساه خاطرة   يشجى بزورتها الأنجيل والسور

قالوا درى الموت بلوامم فقلت لهم   ركاب عيسى يرد الموت كذابا

فى دجى كوخ كأحشاء الضريح   لحت فى ظلمائه مثـــل المسيح

بزورة كنت عيساها وبى خمدر   لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا

أى أنه لا يريد أن يكتفى بتشبيهه بعيسى عليه السلام فأحب أن يدعوه بالرحمن لولا جلال الهدى .

ولم يكتف بذلك ، لحين يعييه ذكر اسم نبي بعينه ، يضفى النبوة مطلقة بلا تشبيه ولا تمثيل على فاروق . . اقرأ مثلا : —

قبس النبوة فى جبينك والعـــلا   رفعته للدنيـــا جبين قياصر

عودى وأحكى لى عن نجوى   سمعتهـــا الريح على رضوى
لجراح الشرق غـــدت سلوى   وحديثا للدنيـــا يروى
عن أول ضيف للعـرب
تبعته جبـــالهم كنبى
مجهـول الزورة مرتقب

فاروق خطوك فى الرمال نبوة   للخير فى يدها البشير العاجل

ويختار من صحابة الرسول ﷺ عمر بن الخطاب فيشبه به فاروق فى مواضع متفرقة من ديوانه ، ويقول : —

هذى موازين شعب أنت سائسه   فاحكم فانك فى أيامه عمر

فسريت للأعراب تخطر بينهم   فلكا على قبب الفلا يتناقل
بشمائل عمرية سطعت بها   بالصولجان على الجبين مخايل

وتعال معى إلى القداسة التى أسبغها الشاعر على كل شىء يتعلق بفاروق حتى التراب الذى يدوسه بقدميه ، واقرأ : —

هذا جلالك يا فاروق ، كل ثرى   تمشى عليه مشت فيه القداسات
ملك فى شباب العمر تحسبه   لحكمة الرأى تحدوه القداسات

وأشهد للتاج الذى فى ظله   تخشع الأفلاك قدسا واحتشاما

حب مداه إلى القداسة ينتهى   لو كان للحب المقدس آخر

ضفافه الخضر والأحلام تسكبها   لنور تاجك فيها معبد عطر

نبوة بمعانى الخير راح بها   وأديك تفعم شطيه المروءات

واقرأ هذا العجب فى وصف زيارة فاروق لقبر الرسول الأعظم :

والنسك تفوح مباخره   وتضوع لديه مجامره

يمشي والطهر يســاوره وجلال الملك يســايره
والعطر يشـــق له السبيلا
ويذيب على يده القبـــلا

أى أن عطر قبر الرسول الكريم يذوب قبلا على يد فاروق . . !!

ومن المبالغات ما يتعلق بشعر الشاعر نفسه ، توصلا إلى المبالغة فى أمداح فاروق ، أقرأ معى :

شعر ضياؤك يجرى فى مسابحه كما جرت بضياء الطور توراة

فاروق... هذا الذى توحى السماء إلى ناى يحس ويستوحى وينفجر

شاديك من قصب الفرادس نايه ومن الشذى والطيب عل غناؤه
ومن الصبا نهلت ظلال أراكه سجواء ناجها غفت أنداؤه

أن لم أر الأفلاك تصغ لوهرى وأنا أغنى التاج ما أنا شاعر
أنام عش الأسرار فى كبد الدجى والليل عراف الظلام محاذر
شعر هو الدم لو لمست خياله فى الروح أحرقنى الهدوء الشاعر
أرسلت فى فاروق آية حبه أعجــاز فن وحيه يتواتر

وهذا الذى عرضناه عليك لا نريد به أن نصفه بأنه كافر أو ملحد أو زنديق أو مشرك بالله ، فما إلى هذا قصدنا ولا كان همنا شيئا من هذا القبيل ، أنما همنا هنا أن نؤكد أن محمودا ــ حين نافق فاروق ــ وأدرك من دخيلته أنه منافق ـ

أراد أن يغطى على سوأته ، وأن يخدع الناس عنها ، فأكد ألف مرة أنه صادق الشعور قوى الاحساس بما يقول ، وما ظنك بشاعر يقول أنه لايهزه للقول إلا نور فاروق ، ودون هذا وتنقطع أسباب الايحاء والاستيحاء والالهام والاستلهام ، ويسكت الشعر ويبطل الكلام . ولو أخذناه بما قال لاسقطنا كل دواوينه ، ما سبق منها ديوان فاروق وما لحق به ، من عداد الشعر ولوقف الشاعر فى إيوان الشعراء عاريا لا يغطى سوأته إلا ديوان فاروق وهو ثوب رياء رقيق يشف عما تحته ، وحينئذ يصدق فيه قول من قال : —

ثوب الرياء يشف عما تحته   فاذا استترت به فانك عار

وتبدو من لسانه بادرة عجيبة يتولى علماء النفس الفحص عنها ، فاذا هى مفتاح شخصيته — ان كانت بحاجة إلى مفتاح — فهو يصف ركاب الملك فى الصحراء الغربية والبدو من حوله وهو ينثر عليهم النقود الفضية وكل هذا شىء عادى جدا ، ولكن الشىء غير العادى هو أن يشبه نقود الفضة بالمشاعل :

انى سريت رأيت نثرة فضة   هى فى ليالى البائسين مشاعل

وقد يقوم متفيهق فيدافع فيقول نعم وما عليه اذا شبه الفضة فى ليل البائسين بالمشاعل فهى تتلألأ أمامهم ، ونقول نحن أن المشاعل رمز الى الهداية والرشاد وصحة المنهج ووضوح السبيل ، فهل تكون النقود الفضية هى التى تهىء للاعراب فى بواديهم كل هذه المعانى النبيلة ؟

والحق أن الشاعر كبا كبوة لانهوض له منها، لأنها شرحت ديوانه كله من أوله

حتى آخره ، وبينت أن مشاعله التى يزجيها للهداية والرشاد ، وصحة المنهج ووضوح السبيل ليست الا النقود ، فهى عنده مفتاح كل شىء وهو معنى من معانى العوام لا يسقط عليه شاعر نبيل ، وحينئذ يتضح لنا لماذا نظم الشاعر ديوانه ، ولماذا وقف على باب كبير الأمناء ليتلقف البلاغات الرسمية فينظمها شعرا .

شاعر الملك :

ولشاعر الملك فى مصر حديث طويل منذ عهد طويل ، وقد كان شوقى رحمه الله شاعر عباس الثانى واليه وجه كثيرا من مدائحه وكان يفخر فيقول :ـــ

شاعر الأمير وما   بالقليل ذا اللقب

ونافس شوقى على مكانه كثيرون لم يكونوا فى مثل قوته ولا فى مثل شاعريته فاخملهم لدى السلطان وعلا لسانه لديه على كل لسان ، وأصبح الشعراء يمتدحونه ويتقربون اليه لتنفق سوقهم عند مولاه الأمير ، وتأمل قول الشاعر عبد الحليم المصرى :ـــ

لقد اخلصت ياشوقى ودادى   اليك وانك توسعنى نفورا
فثق بيدى واذكرنى بخـــير   اذا ما جئت مولانا الأميرا

ثم قامت الحرب العالمية الأولى وخلع عباس الثانى ، ونفى شاعره شوقى الى أسبانيا وتولى السلطنة حسين كامل ، فتقرب اليه عبد الحليم المصرى وما لبث أن أصبح شاعر القصر وهو ما كان يحلم به وظل مرموقا يؤمل المستقبل الزاهر

لولا أن دهمه الموت فتوفى فى شهر يوليو سنة ١٩٢٢ وهو فى الخامسة والثلاثين (١) ».

هذا ما يقوله الأستاذ محمد مصطفى الماحى فى مذكراته الأدبية الملحقة بديوانه ، ولكن مجلة أبولو تنشر فى عددها الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ مقالا يقول بغير هذا ، يقول فيه كاتبه (كان لما نشرته أبولو عن جائزة الملك جورج لشعراء الامبراطورية البريطانية أثر بليغ فى الأوساط الأدبية فى مصر ولعل صادق فى الأعراب عنه بهذه الكلمة . . كان المغفور له أحمد شوقى بك يشغل مثل هذا المنصب — شاعر الملك — فى مصر أيام سمو الخديو عباس ، ولما خلع سمو الخديو ونفى شوقى بك بقى هذا المنصب شاغرا على الرغم مما تجلى من عطف عظمة السلطان حسين ثم من عطف صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول على الفنون عامة وعلى الشعر خاصة ، وقيل أن ذلك راجع لاعتبارات سياسية لا غير ، حتى إذا انتقل شوقى بك إلى جوار ربه ومضت سنة على وفاته عدنا نسمع فى الأندية الأدبية عن اهتمام صاحب الجلالة بتشجيع الشعر والشعراء فى اختيار أحد أعلامهم لهذا المركز الأدبى على ما هو معهود فى انجلترا ...)

فعبد الحليم المصرى إذن لم يكن شاعر الملك على هذه الرواية ، ولعل كثرة أمداحه السلطانية جعلت الناس يظنونه شاعر الملك وما هو به .

ثم عين عبد الله عفيفى أماما للملك ، وأخذ ينشر شعره فى الأهرام أمداحاً

---

(١) ديوان الماحى ص ٥١٨

فى الملك ، تتصيد المناسبات ونافسه فى ذلك مصطفى صادق الرافعى فنشر أمداحا ضارعة متملقة فى المقطم ، وأخذ كل منهما يكيد للآخر ليؤخر نشر شعره أو ليمنع هذا النشر ، وكانت حروف شعر كل من الشاعرين تجمع فى المطبعة الأميرية ثم ترسل إلى الصحيفة المختصة لتنشرها فى صدرها .

قلت فى كتابى « على السفود بين العقاد والرافعى (١) » : حدثنى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن قال : أنه كان يزور الأستاذ عبد الله عفيفى ذات مرة بمكتبه بالقصر ، ورفعوا اليه مسودة بقصيدة له ستنشر فى أحد الأعياد الملكية فراعه أن بنط الحروف — أى حجمها — فى هذه المرة قد صغر فثار وزمجر واتهم الرافعى بأنه اتصل بعمال المطبعة ودبر معهم له هـــذه المكيدة لتظهر قصيدة الرافعى فى بنط أكبر من بنط قصيدة عفيفى وكانت القصائد الملكية على ذلك العهد تصف حروفها فى المطبعة الاميرية أو فى مطبعة دار الكتب ثم ترسل رصاصاً إلى الصحيفة لتوضيبها فى الصفحة الاولى ثم نشرها .

وامتلأت رسائل الرافعى الى صديقه ووليه محمود أبو ريه بلعن عبد الله عفيفى وسبه ، ولا شك أن ذلك كان صدى لشدة المنافسة على القرب من الملك والاضافة اليه .

وفى أواخر الثلاثينات من هذا القرن ظهر فى الميدان فارس جديد من عباد هذا اللقب ، هو محمود حسن اسماعيل الذى اتصل بفاروق على يد محمد محمود ولقيه أول مرة فى ٢٣ ديسمبر سنه ١٩٣٧ والقى بين يديه قصيدة خرجت عن

(١) هذا الكتاب أعد للطبع منذ نحو عام ولكن وقفت عوائق دون ذلك ولعله يصدر قريبا .

مناسبتها الى مدح فاروق فان الاحتفال كان للجمعية الخيرية الاسلامية ولكن الشاعر جعله إحتفالا بنفسه شغفا باللقب البراق « شاعر الملك » .

وأصدر محمود حسن اسماعيل فى سنة ١٩٣٨ ديوانه الثانى « هكذا أغنى » فجعل إهداءه الى فاروق مقرراً أنه يستلهم وجهه الكريم هذا الشعر ، ولم ينس نفسه — كعادته — فى آخر الاهداء فصاح قائلا : —

أن كان هـذا وحظى فيه أوله ماذا يكون بظل العرش آخره

فهو هنا يسترفد ويستزيد ، ويعلن أطماعه على مسامع ممدوحه .

ثم استفتح الديوان ببضع قصائد فى مدح فاروق جاءت كلها على النمط الذى تحدثنا عنه فى صدر هذا الحديث .

ولكن يظهر أن هذا القدر من الشعر ، لم يبلغ الشاعر أمله فى اللقب أو فى الصلة ، فاستجمع قواه مرة ثانية ونظم ديوانا كاملا فى مدح فاروق هو « فاروق الملك » فى نحو مائتين من الصفحات ، وكأنه يقول له : « لم يكفك ولم يرضك ركن فى ديوان فاليك ديوانا كاملا ... » .

وظل هذا الأمل يراود محمود حسن اسماعيل ، أمل تعيينه شاعراً للملك — لست أدرى على أى كادر وبأية فئة — حتى قامت ثورة يوليه ١٩٥٢ التى عاجلت الديوان واللقب والشاعر جميعا : فاما الديوان فقد أعشاه نورها أو أعماه فاختنق فى سراديب الظلام وحاول الشاعر جمعه وإعدامه ولكن التاريخ قط يده دون هذا ، وأما اللقب فقد أصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا وأما الشاعر فقد استبدل وجها بوجه وقبلة بقبلة . . وإذا لم يكن بد من إضافة

الى ما تقدم فان الشاعر محمود حسن اسماعيل حين أراد أن يقدم ثبتا بمؤلفاته على غلاف كتبه التى طبعت بعد الثورة أسقط من بينها اسم هذا الديوان فصار كالغلام الذى ينكر بنوته أبوه أو كاللقيط الذى نبذته أمه

وهكذا ضاعت أحلام النفاق ، وباء جهد عدة أعوام من نسج الشعر وتأليف الكلام بالفشل ولله فى خلقه شؤون .

وإن تعجب فعجب أن يجىء شاعر هذا شأنه فيتمسح بعد ذلك بالشعب وبقضاياه الوطنية ، والقومية ، فيرفع الصوت عاليا ، وينظم فى ذلك ديوانا بعد ديوان — لعل كثرتها تنسى الناس — أولعلها تقنع الناس بأنه استقام على الهدى ودين الحق ، ولكن الحظ النفسى الذى بدأ مع الشاعر منذ أنفرجت شفتاه عن نظم الشعر فى المدير ثم فى الوزير ثم فى فاروق والذى أمتد على عرض حياته وطولها عشرات السنين لا يمكن أن يزول هكذا بسرعة وبمجرد أعلان ثورة يوليه ١٩٥٢ فليس الحظ النفسى « بوصلة » يمكن تغييرها بالارادة الذاتية ولا هو لافتة ينتهى الأمر برفعها ووضع غيرها مكانها ، وإنما هو شىء يرتبط بالدم واللحم ويختلط بالأنفاس ويمتزج بالخلجات والخطرات ويأخذ من حياة صاحبه ماأخذ الحياة منه .

وأعجب من هذا أن يجىء بعض مسترزقى الاذاعة - حيث يعمل - فيسمونه شاعر الحرية والثورة فلا يقنعون حتى أنفسهم بما يقولون من الهراء .

وقد يعتذر له المعتذرون بأنه نظم تحت الرهبة ، ووضع فى ظروف لم يجد معها بدآ من المدح والنفاق ، والجواب على ذلك أن هذا العذر إنما يقبل من مثل أحمد شوقى وعبد الله عفيفى لأنهما كانا من الموظفين بحواشى الملوك ، فكأنما

كان شعرهما فى الملوك جزءاً من عملهما الرسمى الذى كانا منه يرتزقان ، فهما عليه يحرصان ، أما محمود حسن اسماعيل فقد كان طليقاً من هذا القيد ، بعيداً عن مثل هذه الظروف ، ومن ثم جاء نفاقه أصيلا آخذا من فطرته الفنية متصلا بها غير خارج عليها . وحق لنا أن نشك فى شعره كله ، بل أن نقطع قطعاً جازماً بأنه لا يصدر الا عن هذه الفطرة المريضة وعلى هذا الاساس وحده يجب أن يتناوله النقاد إذا كانوا يريدون أن يتبينوا جلية الامر فيه . فهذه هى النفسية وهذا هو الشعر : مرآة وصورة أو صورة ومرآة .

وإذا كان بعض الشعراء من الاصلاء قد مدحوا فاروقا فانما كان فى أول حكمه وفى إنتظار استقامته ،على انهم إنما وجهوه بامداحهم ورسموا له بها الطريق الصحيح لحكم الشعب ولكنه لم يستفد ولم يستمع ، على أنه لما انحرف وتجافى عن الطريق الصحيح ، تجافت أشعارهم عنه ، واقتصر مدحه على شرذمة قليلين وعلى رأسهم محمود حسن اسماعيل .

همزات

وإذا كنا فيما سلف قد رسمنا صورة عامة لشعر محمود حسن اسماعيل فى ديوانه « فاروق الملك » وحاولنا أن نلق عليها ظلالا من حياته أخذا بمذهبنا فى أن الشعر صورة الشاعر وترجمان ضميره وأخلاقه وجماع حياته ، فأننا الآن نرى أن نضع بعض الابيات موضع النقد لتكون أمثلة إذا أريد أن يكون النقد

على طريقة الأبيات ، ونحن مع هذا لا نرى مانعا من عرض بعض صوره والتعليق عليها ونبدأ بعرض صــور من احالات المعنى لديه يقول فى مفتتح ديوانه : —

نور من الله ترعاه العنايات ... هاتوا أغانيكم فى حبه هاتوا
وطاولوا هامة الدنيا بعزته ... فنحن من دونها فى الأرض أموات
ورددوا فى ضحى الوادى بشائره ... فما لنا غــيرها للمجد آيات
وامشوا كما خطرت مصر بساحته ... نشوى ترنح جنبيها الصبابات
غدا هواها دما يجرى بمهجته ... كما جرت بحياة البحر موجات

والبيت الاول يقول أنه نور من الله وأن العنايات ترعاه فلماذا جمع العنايات أن كان يريد بها عناية الله وجمعها جائز صرفا ولكنه غير جائز ذوقا وشعراً، وإذا كان يريد بها عنايات الشعب فهل يحتاج نور الله إلى هذه العنايات لترعاه ؟ ثم يأتى الشطر الثانى عجيبا ومنسلخا عن الشطر الأول، إذ لا علاقة بين القولين ، ولا سبب يدعو إلى طلب أغانى الحب له ، والمفروض أن تطلب له أغانى الولاء أولا تطلب له أغان على الاطلاق ، ثم يأمر الشاعر الناس أن يطاولوا هامة الدنيا بعزته — لأنهم بدون هذه المطاولة أموات ، وثمة احالة خفية فكيف يطاول الأموات الدنيا — لأنهم قبل هذا الطلب منهم لم يطاولوا فهم أموات ، وإذا كانوا أحياء فلا حاجة بهم الى هذه المطاولة التى تجعل من الأموات أحياء .

وفى البيت الرابع تركيبة غريبة ، لأنه يأمر أهل مصر أن يمشوا بساحته كما مشت مصر نشوى ، وبماذا أراد بلفظه مصر إن لم يكن قد أراد أهلها ؟ أتراه

قصد حيطانها وغيطانها ومهايعها وشوارعها ، فكيف مشت هذه اذن ؟ وما طريقة مشيها حتى يمكن أن يمشى الناس كما مشت؟ الحق أن الشاعر مضلل ، ضال، أوهو ضال مضلل ، لأن المجاز فى مشت مصر واضح وهو أن أهل مصرهم الذين مشوا لا مصر ، ومن ثم تتضح الجهالة فى اصدار الأمر الى الناس أن يمشوا كما مشوا ...

والبيت الأخير أعجب وأغرب : فهو يقول ان هوى مصر يجرى دما فى مهجة فاروق كما جرت بحياة البحر موجات، واذا كان لكل تشبيه طرفان يلتقيان ولا يبتعدان ويتجاذبان ولا يتنافران فهل اتضح ذلك من تشبيه أخينا النابغة ؟ وكيف تجرى الموجات بحياة البحر ، وهل البحر شيء غير الموجات ؟ وإذا كان البحر شيئا غير الموجات فأى شيء يكون ؟

ويقول :

أنى مشى من يد الله العنايات   من ذلك القدر السارى تظلله

وفى هذا البيت ملحوظتان : الأولى أنه وصفه بالقدر السارى ، فما وجه حاجته اذن بعد هذا الى ان تظله عنايات ، فهو قـــدر — كما يزعم — وطبيعة القدر كما نفهم لا تحتاج بعد هذا الوصف الى ان توصف بأنه تظللها عناية ، والثانية أن محل العناية العين لا اليد ، وكان الصحيح أن يقول : تظلله من عين الله لا من يده ، فالعين رمز الرعاية واليد رمز القوة ، هكذا ورد فى كلام الله ، وفى كل كلام بليغ منذ قيل قول عربى حتى اليوم .

ويقول :

شباب ملكك للأوطان أغنية على صداها جميع الناس قد سكروا
إن كان فرقنا رأى فأنت لنا قلب لديه ذنوب العقل تغتفر
فاجمع هوانا وطر للنجم محتشداً فما يزال هناك المجد ينتظر
عدلت فى الحب إذا سويت خطوته فكل أرض لها من سحره أثر

فانظر إلى قوله شباب ملكك ، وملكه ملك قديم، وتشبيه بالأغنية قد يكون مقبولا لولا أنه جعلها أغنية تسكر الناس فيذهلون عن أنفسهم ، ولا شك أنه فى البيت الثانى قد جعل الفرقة من ضلال العقل ، فكيف يكون فاروق قلبا للناس يغتفر ماجاء من ذنوب عقولهم ، إلا أن يكون قلبا يعصاه العقل أوهو يعصى العقل ، ومن ثم فقد هجا من حيث أراد المدح لأنه جعل الملك فى جانب والشعب فى جانب ولئن كان هذا هو الحق الذى أجراه الله على لسانه فانه شىء لم يقصد إليه وإلا لطرحه واستغفر ألف مرة .

ويقول : —

ومثل شعبك يافاروق كوكبة من الطيور جفاها الظل والشجر
فى قارظ من سموب السيف يرهبه خطو النسيم رمى أسرابها القدر
فزفزفت وتلاشت فيك لوعتها وأنت روض بقلب الفجر مزدهر
ومثل عطفك يافاروق شادية من الانامل يشكو تحتها وتر
تشجى وتطرب لاتدرى الذى سحرت ولا الذى موشك بالحن ينسحر

تشفى وتبرىء لاندرى كما شربت　　طب الربيع جراح دسها زهر
ومثل عطفك يا فاروق مزعجة　　من الليالى تهاوت حولها النذر

شعب فاروق هنا كوكبه من الطيور (والكوكبة للناس والخيل فقط ولا تكون للطيور) تقف فى غير ظل ولا شجر فى صيف قارظ (يريد شديد الحر ولم تتحدث بمثلها لغة العرب وانما قالوا قائظ) يخافه النسيم ، وتلك الكوكبة من الطيور قد رمى القدر أسرابها فزفزفت (أى مدت أجنحتها) وتلاشت (يريد فنيت ولم تقل لغة العرب مثل هذا) لوعتها فيك لأنك روض كائن بقلب الفجر وهذا الروض مزدهر فلابد من تصور لجر ، ومن تصور قلب لهذا الفجر ، ومن تصور روض يقيم بهذا القلب ، ولابد ان يكون هذا الروض مزهرا فانظر كيف كد خياله حتى خلق صـــورا متراكبة ، لا متواكبة ، والمتواكبة لاتضيع خطوطها فى زحام التصور ولكن المتراكبة ، هى التى تنظر اليها فلا ترى الا أشباح صور ينطمس بعضها فى بعض حتى يكون ذلك هو العمى بعينه ، والبيت الأخير عجيب ولو نظمه انسان بعد شرب عشرين قرعة من البوظة الحامضة لما صدقت إلا أنه قد شرب قبل أن يقوله أربعين قرعة تباعا . ويقل والله له　وقد ضبط مزعجة لجعلها على وزن اسم المفعول ، فكيف يكون عطف المليك ليالى تهاوت حولها النذر فاصابها الدهش والانزعاج فليس ثمة معنى على الاطلاق ، أنه حديث المصروع أو الذاهل أو السكران أما انه من حديث العقلاء فلا .

وخذ قياسا على ما تقدم معظم مافى الديوان من الصور والافكار ، الا ان يكون من دواوين اللامعقول ، ويكون محمود حسن اسماعيل فى هذا الميدان سابقا غير مسبوق .

وعلى جبال رضوى ، فى اجتماع اسلامى له شأنه لا يرد على ذهن الشاعر الا انشاد القيان وطواف الكؤوس ببنت الدنان :

واسق أكوابك واسقينا وخذى الأوتار وغنينا

وهو موقف كان لابد أن يكون له أطار غير هذا الاطار ، وتناول غير هذا التناول ، مهما قيل من أن الخمر والغناء رمزان للسرور والفرح فهذا لا يغنى شيئا أمام الموقف الاسلامى الذى يجب أن يقابل تصويره باطار يناسبه . وفى جبل رضوى ، فى الصحراء العربية يطلب الشاعر من قينته الشادية الطائفة بالكؤوس أن تصغى للموج النشوان — ولست أدرى أين يكون الموج فى الصورة التى ترسمها ظروفها وموجبات المقال فيها وموحيات النشيد لها ؟ ثم يطلب منها أن تصغى لهمس الدوح النعسان حيث لادوح ولا نعاس ولئن كان نعاس الدوح لفظاً رقيقا ، فانه هنا غير مطلوب ، ويجب الا يجيب عندما يطلب منه فما النعاس فى موقف حزم وتقرير مصير ؟ وأين الدوح فى صحراء ؟ ثم يعقب على ذلك بدعائها أن تستمع الى نسيم الفجر الحيران ، الذى لا محل له فى الصورة على الاطلاق وإنما هو نظم كلام خواء ، وتركيبات ألفاظ إن أدت الى معان محددة بذواتها فهيهات أن يكون لها مكان فى صور إجتماع قومى وإسلامى جاد .

ويقول فى « أرزة » من لبنان جاءت الى فاروق بالقاهرة :

وأقبلت أرزة عليها تمائم السحر أو عصاه
خضراء مشبوبة سقاها من عزة الشرق من سقاه
وكلنا حوله طيـور وحبه الروض والميـاه

ماذا أراد بعصا السحر التى جاءت على الأرزة ؟ أن لعصا السحر تاريخا أدبياً يحدد مواقعها من الكلام كلما جاءت به، ومعرفة هذا التاريخ الأدبى للكلمة أو للعبارة ضرورى لكى تأخذ مكانا صحيحا فى السياق، ولا تأخذ منه مكانا قلقا يحتاج الى التأويل والشرح والتفسير، وعصا السحر تكون إداة فى يد أقوى السحرة وأكبرهم أو فى يد نبى كمعجزة، وهى العصا التى كانت فى يد موسى عليه السلام وورد ذكرها فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ومنها قوله تعالى : —

« وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون » .

(الأعراف - آية ١١٧)

« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب »

(النمل — آية ١٠)

« وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً »

(القصص — آية ٣١)

« فألق عصاه فإذا هى ثعبان مبين »

(الشعراء - آية ٣٢)

« فألق عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون »

(الشعراء — آيه ٤٥)

ماذا أراد بعصا السحر التى جاءت على الأرزة ؟ أفاراد أنها ستستعلى على كل ما فى مصر من الشجر والدوح والنبات ؟ بجمال أو حسن أو فتنة أو ثمر ؟

ان أراد هذا فقد أعلن عن فساد ذوق يقل نظيره ، فان الأرزة لاتحمل الامعنى السفارة الأخوية من لبنان إلى مصر ، وهي بهذا المعنى قد أرسلت و به قد غرست فى ميدان عابدين ، ولئن أراد الشاعر منها الاستعلاء فقد هجا ممدوحه من حيث يريد أن يغلو فى المدح غباوة وجهلا بمواقع الكلام .

والأرزة فى البيت الثانى خضراء مشبوبة (أى مشتعلة) قد رويت بعزة الشرق ، فكيف تكون الخضراء مشبوبة ؟ أم هى مجرد أحداث فرقعة بالمفارقة ليحسن فى إذن السامع وقع الكلام ؟

ولو حاولت ان استقرىء من الديوان احالات المعانى والصور ، وفساد تكوينها وترتيبها ووضعها فى اطرها (ج اطار) الصحيحة لما كفتنى مئات الصفحات وآلافها ، وانما الشأن فى هذا النقد أن يكون نماذج يدل القليل منها على الكثير والجزء على الكل فلا على اذن اذا انا اكتفيت بما عرضت من الصور والمعانى والاخيلة والأفكار .

صناعة النظم

وللشعر فى رأينا جانبان أحدهما جانب الفن وما يرتبط به من الحس والخيال والتفكير والتعبير ، والثانى جانب الصناعة وما يرتبط بها من الوزن والقافيه ، والنحو والصرف على العموم .

ونعتقد أن فى ما أوردناه آنفا كفاية تغنى فى الدلالة على معدن الفن عند محمود حسن اسماعيل ، ونتداول الآن جانب الصناعة ، والشاعر متخرج فى دار العلوم ،

والمفروض أنه أخذ منها شهادة بأنه تعلم النحو والصرف والعروض والقوافى ، وأجازه الأساتذة فى هذه الموضوعات ، ولكن الشاعر الذى تخرج فى دار العلوم — وتؤكدها لئلا يؤكد البحاث بعد ذلك غير هذا حين يرون جهله وأخطاءه — يعرض عليك نحوا من تأليفه لم تعرفه العرب من قبل ، فالناس جميعا منذ عهد يعرب ابن قحطان — وربما قبل ذلك — تعرف أن الفعل المضارع لا يجزم بغير سبب يدعو إلى جزمه ، وقد حدد النحاة على سبيل الحصر ، المواقع التى ينجزم فيها هذا الفعل ولكن محمود حسن اسماعيل فى غمرة نشوته بمدح فاروق يقول :

ان لم أر الأفلاك تصغ لمزهرى   وأنا أغنى التاج ما أنا شاعر

و « تصغ » مجزومة بلا جازم ، أو أن جازمها على الأصح هو جهل الشاعر وغفلته [1] « وجواب الشرط « ما أنا شاعر » يجىء جملة اسمية منفية بما فلا يضع الشاعر فى أوله الفاء ، ويقرنه بها ، كما يفعل تلاميذ المدارس الابتدائية فى كراسات تطبيقاتهم وموضوعات انشائهم ولكنه يأكل الفاء ويحسبها عطية وصلت اليه من يد فاروق لقاء هذا المديح الضارع .

ويقول الشاعر :

فى كل لمح من سناها هوى   وفتنة جنت بها فتنتى
وكل نبر من صدى صوتها   دنيا من اللحن بقيثارتى

البيت الأول قافيته بغير تأسيس إذ ليس فيها ألف ، والبيت الثانى قافيته مؤسسة ففيها ألف ، وهذا خطأ فى صناعة الشعر يقع فيه الشاعر لأنه يظن الشعر كلاما فى كلام وعملا سهلا من أعمال العوام أو الهوام .

---

(١) لا يجوز هنا الاحتجاج بشواذ اللغة فى هذا الشأن فان الشواذ لا يجوز أن يقاس عليها .

ويقول فى مدح الوزير السابق المرحوم سعد اللبان : —

فسلى ضفاف السين غرس جهوده يقبيك محراب الهدى وأمامه

فهو هنا قد أخذ بالرأى المرجوح فى جواب الأمر لا لأنه ممن يعتقدون صحته ورجحانه ، بل لأنه يجهل وجه الرأى فيه فقد خالفه فى سطور أخرى من أواوينه ، والرأى الراجح أن جزم المضارع لازم فى جواب الأمر ، فكأنه دضمر أسلوب شرط : الأمر شرطه وينبيك جوابه ، قال الراوى : إن سعد اللبان تململ حينما سمع هذا المدح ، إذ واجهه الشاعر بهذا الجهل النحوى العميق، ذلك أن سعد اللبان — رحمه الله — متخرج فى دار العلوم ومن أبنائها الأذكياء العلماء ... فتجهم وجهه وانصرف الى الحديث فى حفل تكريمه مع أحد جيرانه دون الاستماع لهذا اللغو أو هذا الجهل .

ويقول : —

أنا ما شدوت ، ولا صدحت وإنما

أهديت نور التاج مهجة شاعر

وفقهاء اللغة يقولون أهدى اليه الشىء ، وأهدى له الشىء ولم نسمع بمن قال أهداه الشىء وأبو تمام يقول ويستعمل الفعل أهدى إستعماله الصحيح :

وإذا امرؤ أهدى اليه صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

وأضف الى مثل أكل الفاء التى تلزم جواب الشرط قوله :

أن تسل فى الشعر عنى هكذا كنت أغنى

وإذا أنجـــاك همسى　　　من صداه لا تلمـــنى

أضفهما الى سيل أخطائه فى هذه القاعدة النحوية المشهورة التى ضبط الناس حفظها قديماً ببيت من النظم لم يحفظه محمود وهو :

أسميــة طلبية وبجامـد　　　وبما ولن وبقد وبالتنفيس

وخلاصة الرأى فى شعر محمود حسن اسماعيل بعامة ، وشعره المداح بخاصة، أنه لايصدر عن تجربة وجدانية صحيحة ، ولعل ذلك هو السبب فى أنه فى القصيدة الواحدة يقول للممدوح أننى أحبك عشرات المرات ويؤكد هذا الحب ، ويلح فى هذا التوكيد إلحاحا يكشف عن دخيلة النفس ، فاذا هى لاتحب وإذا هى خاوية من كل عاطفة تجاه هذا الممدوح ، وإذا الأمر خداع فى خداع ، وتراكيب كلام لايمكن أن يدخل بها صاحبها ديوان الشعر الأصيل .

وأنه يؤلف صوراً متراكبة لا متواكبة ، وبنفش شعره تهاويل لعله يستر الكذب والختال ، فاذا الصور منطمسة وإذا ألوانها يذوب بعضها فى بعض فلا تكون إلا صورة من صور اللا معقول ذات ألوان لا يبين بعضها من بعض

وأنه يبالغ مبالغات مضحكة ، تحقيقاً للغرض نفسه ، ولذلك كثر فى شعره الأنبياء والنجوم ومشاهد الطبيعة التى يحاول أن يخدم بها أغراض المدح فإذا هى لا تنفعه شيئاً .

وأنه لا يتقن النحو والصرف والعروض والقوافى فيقع فى أخطاء تدل على أن جانب الصناعة من شعره ضعيف ، وأنه لم يتقدم إلى الشعر بأداته الصحيحة ،

أو بأدواته — أن أردت الدقة — من موهبة وصدق عاطفة وعلم باللغة ونحوها وصرفها ودراية بالبحور والأوزان والزحافات والعلل ، وعيوب القـــافية وما إلى ذلك .

ومرة أخرى نقول إن شعر محمود حسن اسماعيل أهون علينا وعلى الأدب من أن نبذل فيه جهداً ، ولكننا نريد تبصرة الناشئة والشداة فى الأدب ، وحسبنا ذلك مما كتبناه غرضا .

* * *

وكان المرحوم الأستاذ محمد مصطفى حمام مولعاً بتقليد أشعار شعراء عصره ، وقد نظم على ألسنتهم ما كاد النقاد أن يظنوه من أشعارهم وكان محمود حسن اسماعيل ممن نظم حمام على ألسنتهم فقال :

رقص البدر على لحن الصخور ياسماء فى جبـــال من بحور
وبحوراً فى نحور من زهور قـد حبسنا الجو فيهـا فانطلق

نامت الأمواج فى حضن الفلك وانثنى الطاووس من ماء الحلك
وارتمى الشيطان فى جوف الملك واستبقنـا النور حبوا فاستبق

رقص الليل على جسر الأبد وتدلى الصبح من رجل الأسد
وأرتقينا القاع من غير عمـد وشربنا النجم فى كأس الشفق

الهيـــولى فى مزامير الأزل تسكب الحزن ، وللحزن غزل
صعد القلب عليهــا ونزل وتردى المـاء فيهـا فاحترق

ياهزيج الوجد فى مسرى العصور جف ريق الحب فى ثغر الأمور
ولقد كانت - وماكانت - عطور تلمز الغيب إذا الغيب نفــق

صــلوات ذبحت فى معبدى وسكارى ألهموها باليــد
والرؤى ليس لها من مسعد غــير فجر جلده فانفلق

ولا شك أن حماما رحمه الله قد لخص بهذه القصيدة العجيبة رأيه فى محمود حسن اسماعيل أو فى تلخيص ، وقد روى لى رحمه الله أنه بعث بها منسوبة لمحمود حسن اسماعيل إلى إحدى الصحف التى كانت تهتم بنشر شعره ، فنشرتها فى صفحتها الأولى بعنوان « رقص البدر للشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل » .

ولسنا نرى ختاما لهذا الجزء من كتاب الديوان أليق من قصيدة زعم أحد المنومين المغناطيسيين أنه سمعها من محمود حسن اسماعيل بعد تنويمه ، فجاء على سجيته فيها ، وكشف عما بنفسه وصحح القصيدة التى ختم بها ديوانه « هكذا أغنى » حين رواها على وجهها الصحيح ، وهذه هى القصيدة مروية على لسان وسيط المنوم .

هكذا أغــنى

أن نسل فى الشعر عنى هكذا كنت أغنى
أترى ثمــة فرقــا بين شحــاذ وبينى
إننى أقبس منــه وهو قد يقبس منى
فله معنى كمعنــاى ولحن مثــل لحنى

وله ثــوب رقيع | آخذ من كل لون
وإذا نــــاجى ضرا | عات فهذا بعض فنى
وإذا غمغم بالأصوا | ت فى غير تـــأن
فأنا ذاك ، وهذا الـــ | ـكون - لو تعلم - كونى
وإذا هيتم بالقـــو | ل ولم يفصح ... فإنى

مذهبى الدينار والدر | هم ذو الصوت المرن
فهما أهـــلى وصحبى | وهمـــا كأسى ودنى
إنما الفقـــر جحيم | وهما جنات عـــدنى
بهما بعـــت أناشيدى | واغاربدى وفـــنى
إن من لام على ذا | ك جهـــول متجن
فاستمع لى فى هدى نفـ | ـسى شعرى أو فدعنى
« ما أنا الا كظل | لشعورى فاعف عنى »

أنا فى رجل مليك النيـ | ـل - واسمع ذاك منى -
راسم كعب حـــذاء | أسود أو هو بـــنى
أنـه يـــولى ويعطى | ويهـــنى ويمـــنى
وإذا ثنى بجـــود | فانتظـــر منى التثنى

يا سقى الله زمانـــا   من حيا السحب بهتن
كنت فيه شاعر الأفـ   ـراح أشدو فأهـــنى

فى يدى « الصـــاجات » والأقوام من حولى بشن
هزج الرقص ، ورقص الشعر فن أى فن

ضاحك السن وكم يجـــ   ـدى المعانى ضحك سنى
مقطع الحق صريحـــا   قلتـــه فاروه عنى
هكذا كنت أغنى   هكذا كنت أغنى

وبعد :

أيها القارىء الصديق فى عصرنا ، وفيما يتلوه من عصور .

لقد كتبت هذا دفاعاً عن شرف الأدب بعد أن تلوث جوه ، وفسدت مياهه ، وامتلأت طرقاته بالأحجار والعوائق ، وحاولت « الشلل » والتجمعات الضارة أن تحوله عن تيار الصحة والسلامة الى تيار الغرض والضلال ، وقيس الأدب بمقياس الحاجة الى صاحبه فى موقعه من عمله ، فقد والله سمعت أن ناقداً كتب مقالا يمدح فيه شاعراً مدحاً مبالغاً مضحكا ، فلما لمته قال فى صراحة : وماذا أفعل ؟ إن لى عنده مسائل تحتاج منه إلى نظرة ، وهو لم يرد أن ينظر الى مسائلى فأردت أن أعطفه إليها بهذا المقال .

وستتلو هذا الجزء من كتاب الديوان إن شاء الله أجزاء أخرى لتتم تنقية الجو الأدبى وتصفيته من شوائبه لنتنفس هواء نقيا ونشرب ماء عذبا ونسير فى طريق ممهد معبد . وهذا وحده هو هدفنا من هذا الجزء ، وسيكون هدفنا — إن شاء الله — فيما يتلوه من الأجزاء ؟

العوضى الوكيل

٢٥ شارع النزهة — مصر الجديدة
القاهرة — ج . ع . م

مكتبة لسان العرب

وادى النيل

للدعاية والطبـــاعة والنشر

الثمن ٥٠ مليما